

إدارة ترامب
التي كشفت إيرانخير الله خير الله
إعلامي لبناني

مع رحيل دونالد ترامب عن البيت الأبيض، يتبين حجم الانكشاف الإيراني على غير صعيدي. من يكون قويا بالفعل لا يجرب صواريخه وطائرات من دون طيار كي يظهر للعالم أنه يمتلك عضلات من نوع آخر وتكنولوجيا عسكرية متطورة تضاهي التكنولوجيا الأميركية.

القوي بالفعل يمتلك نموذجا يصنره إلى محيطه غير الميليشيات المذهبية. الأهم من ذلك كله، القوي بالفعل يتذكر مصير الاتحاد السوفياتي ولماذا حصل الانهيار الكبير في الاتحاد السوفياتي الذي كان قوة عظيمة حقيقية. لم تتفقد كل الصواريخ بعيدة المدى وقصيرة المدى ومتوسطة المدى في منع انهيار الاتحاد السوفياتي. لا يمكن التحول إلى قوة عسكرية ترعب المنطقة من دون اقتصاد قوي قابل للحياة ومن دون شعب لا يكون نصفه تحت خط الفقر.

من وضع هذه السياسة التي ستجد إدارة جو بايدن نفسها مضطرة إلى المحافظة على جانب منها، خصوصا في ما يتعلق بإيران.

ليست المناورات العسكرية الإيرانية الحالية سوى دليل ضعف وليس دليل قوة. لن تجبر مثل هذه المناورات ولا زيادة تخصيص اليورانيوم الإدارة الأميركية الجديدة على الاستسلام أمام إيران. لن تعود هذه الإدارة، على الرغم من تطلعها إلى ذلك، إلى الاتفاق النووي، الذي مرّقه ترامب في العام 2018، من دون ترافق هذه العودة مع شروط معينة. ثمة معطيات جديدة في المنطقة تغيرت كلياً. ما كان سائدا في الأعوام التي سبقت توقيع الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني في العام 2015، لم يعد قائما حاليا، بما في ذلك قدرة إيران على تصدير نفلها بسرور مرتفع وتحويلها العراق إلى بفرة حلوب في ظل وجود، رجلها، أي نوري المالكي في موقع رئيس الوزراء.

تستخدم إيران حاليا أساليب قديمة في تعاطيها مع معطيات جديدة. تكمن أهمية إدارة ترامب، أو على الأصح أهمية الذين رسموا للرئيس الأميركي المتهدية ولايته سياسته الخارجية، في أنهم يعرفون إيران جيدا. من هذا المنطلق، كانت العقوبات التي أثرت في قدرة "الجمهورية الإسلامية" على تصدير نفلها. أكثر من ذلك، لم يعد لدى إيران ما تستفيد منه في العراق حيث توقف تدفق المياريات من عائدات النفط. لم يعد العراق، كما كانت تشتبه إيران. هناك عودة إلى الروح الوطنية العراقية وإن سببها، حتى لدى الشيعة العراقيين العرب الذين باتوا يرفضون الهيمنة الإيرانية ومحاولة نقل التجربة الخمينية إلى بلدهم عن طريق "الحشد الشعبي".

لا تزال إيران تعتقد أنّ في استطاعتها، على غرار ما حصل في عهد باراك أوباما، استخدام العراق ورقة ضغط على الأميركيين. هناك عوامل



والسوريين واللبنانيين واليمنيين؛ لم يعد العراق ورقة إيرانية، خصوصا أنه لم يعد هناك في طهران من يتقن لعبة السيطرة على العراق كما كان يفعل قاسم سليماني الذي كان بالفعل الرجل الثاني بعد "المارش" علي خامنئي. كان سليماني شخصا غير عادي لجهة إدارته للمشروع التوسعي الإيراني وأدواته المختلفة في منطقة تمتد من أفغانستان إلى اليمن. هل في طهران من يقتنع أخيرا بأن الوسائل التي استخدمت في الماضي صارت من الماضي؟

ثمة حاجة إلى شجاعة بالفعل للاعتراف بأن ما قامت به إدارة ترامب لم يكن حدثا عابرا. صحيح أنّ هذه الإدارة لم تعزّ سوى أربع سنوات، لكنّ الصحيح أيضا أنها كانت أربع سنوات مهمة ومفصلية، خصوصا في ما يخص إيران ودورها في المنطقة...

والتعاطي مع إيران من منطلق مختلف يأخذ في الاعتبار صواريخ إيران وسلوكها في المنطقة. تحتاج إيران، التي تسعى إلى إظهار مدى نفوذها في العراق، إلى وقفة مع الذات من جهة واستيعاب أن الصواريخ والطائرات من دون طيار وميليشيات الحوثي في اليمن (انصار الله) لا تطعم الإيرانيين خبزا، هل هناك في "الجمهورية الإسلامية" من يتجرأ على القيام بعملية نقد للذات ومراجعة للمرحلة السابقة، أي للسنوات الممتدة منذ نجاح الثورة على الشاه وقيام نظام جديد قائم على نظرية "الولي الفقيه" في 1979؟

من تبيّن مع مرور الوقت أنّ ليس لدى هذا النظام ما يقدمه للإيرانيين أنفسهم، خصوصا أنّه يعتمد على النفط والغاز أكثر بكثير مما كانت عليه الحال في عهد الشاه. فكيف يتوقّع منه تقديم شيء للعراقيين

الإسلامية". يعرف جيدا أن إيران 2021 ليست إيران 2010 - 2014 وأنّ كل ما تمارسه حاليا هو محاولة هرب إلى الأمام بدل مواجهة الواقع. هذا الواقع المتمثل في العودة إلى أن تكون دولة طبيعية عليها الاهتمام بشعبها قبل اهتمامها بالصواريخ والسلاح النووي والاستثمار في الميليشيات المذهبية. تغيرت المنطقة كلياً، بما في ذلك إيران. من كان يتصور أن دولاً مثل الإمارات العربية المتحدة والبحرين ستقدم على خطوات جريئة في مجال العلاقات مع إسرائيل في ظل المعطيات الإقليمية الجديدة التي تتميز بعنوانية لا حدود لها تمارسها إيران وتركيا في الإقليم كله وما هو أبعد منه.

تغيرت إيران من الداخل نحو الأسوأ، خصوصا بسبب العقوبات التي فرضتها إدارة ترامب. لن يكون أمام إدارة بايدن سوى الاعتراف بذلك

عده تجعل ذلك مستحيلا الآن. من بين هذه العوامل تصفية إدارة ترامب لقاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" بعيد مغادرته مطار بغداد في الثالث من كانون الثاني - يناير 2020. لم تتمكن إيران من الرد على الاعتقال الذي شمل أيضا نائب رئيس "الحشد الشعبي" العراقي أبو مهدي المهندس. ليس إحياء ذكرى سليماني في بيروت وبغداد وصنعاء سوى ردّ يلجأ إليه الضعفاء الذين يعتمدون الخطاب الرنانة لتغطية عجزهم.

مع غياب قاسم سليماني، غاب الصوت الإيراني في العراق، بل غاب الفعل الإيراني. لم يعد سرا أن إيران لم تعد قادرة على استخدام العراق، كما في الماضي، من أجل ابتزاز الولايات المتحدة. لا شك أنّ رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، وهو ليس معاديا لـ"الجمهورية

شرعية النصر العسكري في السودان

لرئيس مجلس السيادة، ويقبل من اتهامه بالسعي إلى الاستحواذ على السلطة ويطيل عمر جلوسه على مقعده الحالي، وتحجيم المطالبات بخروجه عقب انقضاء النصف الأول من الفترة الانتقالية.

النصر في أزمة الحدود يوفر شرعية مناسبة لعبدالفتاح البرهان ويقبل من اتهامه بالسعي إلى الاستحواذ على السلطة ويطيل عمر جلوسه على مقعده وتحجيم المطالبات بخروجه عقب انقضاء النصف الأول من الفترة الانتقالية

تجاوز البرهان فخ البشير في التفريط في الأرض والقفر على السلطة بالانقلاب العسكري، وغيرهما من العوامل التي أدت إلى رفضه في الوجدان العام، وقد يصبح هو رجل الضرورة، في ظل العواصف السياسية التي تمرّ على البلاد في الداخل والخارج، ويتم اختياره مباشرة من الشعب في أول انتخابات رئاسية.

بالتأكيد لن تمرّ هندسة المشهد بهذه الطريقة بسلا، فالعافية التي تتفتح بها بعض القوى السياسية ربما تمكنها مبكرا من توقيت الفرصة على هذا السيناريو، لكن تظل احتمالات تعريضه قابلة للتحقق وسط ما ينخرها من انقسامات.

كما أنّ شرعية النصر مؤثرة، وطريقة الصعود إلى السلطة سوف تأتي عبر صندوق الانتخابات، ما يقلل من أي تحفظات دولية حول تولي جنرال حكم السودان مرة أخرى.

السودان متماسكا، ويعيدا عن المنهج الديمقراطي وما يمثله من انعكاسات كمنهج على دول مجاورة، أو خطورة على مستوى التداخات القائمة لغاوض الحريات السياسية.

ورغم أن الجيش استفاد من الدروس السابقة وأعلن زهده في السلطة، غير أن التحركات التي قام بها مضت في طريق آخر، ما أثار قلق قوى مدنية متعددة، خشية أن تفقد المؤسسة العسكرية على الحكم وتسقط السلطة في حجرها بارتياح، وقد تعرضت لانتقادات فرضت عليها العزوف عن الاشتباك في تفاصيل الكثير من التطورات الداخلية، إلا عند اللزوم.

رسخ في يقين قيادة الجيش أن العودة إلى السلطة لن تأتي بالطرق المباشرة، ومن الواجب أن يكون هناك مشروع وطني يضمن تاييدا واسعا لها، لذلك قرأ الكون العسكري جيدا فتجرّ الأزمات الحدودية مع إثيوبيا، ووجد فيها مواصفات كاملة لهذا المشروع، وأضحت البيئة مهيأة ليظهر الجيش قوته الخارجية، في قضية تسمى وترا حساسا في وجدان قطاع كبير من المواطنين.

قدم البرهان نموذجا عكسيا للبشير، حيث فرط الثاني في جزء غال من أراضي السودان، ومهد الطريق لانفصال جنوبه، بينما استردّ الأول أرضا ظلت مسلوية لسنوات طويلة، الأمر الذي وفر له التفافا شعبيا وسياسيا كبيرا، لا أحد من القوى المدنية يعارض فيه أو يناكف عليه.

تفسر هذه المسألة جانبا مهما من الصرامة التي ظهر عليها خطاب البرهان في أكثر من مناسبة خلال الأيام الماضية، فقد استردّ أرضا كانت منهوبة ولم يبق بالعدوان على أحد، وأي مفاوضات مع أدريس أبابا تبدأ من هذه النقطة، ويمنحه الحسم العسكري شعبية مضاعفة داخليا وخارجيا، فهو في النهاية يدافع عن سلامة بلاده.

يوفر النصر المادي في أزمة الحدود، شرعية سياسية مناسبة

في ظل انتهاء زمن الفرمانات العسكرية، أصبح البرهان بين خيارين، إما القبول بتسليم السلطة للشق المدني في الموعد الذي رسمته الوثيقة الدستورية للمرحلة الانتقالية، وإما البحث عن طريق آمن يظهر أهميته للدولة، وصعوبة التخلي عن دور الجيش في الفضاء العام.

بدأت تكلفة الخيار الأول صعبة على قيادة الجيش وباهظة، مع التشرذم الذي تعاني منه قوى سياسية مختلفة، وتضاعف حدة الأزمات التي تعاني منها الدولة، وبرزها السيوولة المنتشرة في غالبية الأقاليم، ما يستوجب قبضة حاسمة تعيد الأمن والاستقرار، وليس قبضة رخوة تؤدي إلى المزيد من التدهور والانهيار.

وبدا الخيار الثاني غير مستبعد، مع الحفاوة التي وجدها البرهان من قوى إقليمية ودولية تريد أن يكون

ويحتاج ذلك إلى حنكة وقوة، وقدرة على تهيئة الأجواء لعلاقات جيدة مع دول الجوار، وانفتاح على العالم.

أسس رئيس مجلس السيادة بمفاصل بعض التطورات الخارجية، وبدأ خطوة التطبيع بقاء عقده مع رئيس حكومة إسرائيل بنيامين نتنياهو في عنتيبي منذ نحو عام، وقاد رفع اسم السودان من لائحة الإرهاب الأميركية، وأعاد تصويب المسارات مع مصر.

كل هذه التحركات لم تحظ بإجماع كبير، فهناك انقسام حول ملف التطبيع وتبعاته، ومخاوف من الحصانة القانونية المنقوصة مع الولايات المتحدة، وهو جاس بشأن التطور الحاصل مع القاهرة، وبدأ البرهان في النهاية كمن يحرث في البحر، فهذه التوجهات لن تضمن له الحصول على التفاف وطني يتقدم به إلى الصف السياسي مستقبلا.

تطورات مختلفة، وحرص على التوغل برفق في الشق الداخلي خوفا من مواجهة مشكلات تعرقل مهمته، لأن الأزمات التي يمز بها السودان عميقة، وأي اقتراب واسع منها قد يفرض قصورا في الليات التعامل معها.

ترك رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبدالفتاح البرهان، هامشا كبيرا للحكومة برئاسة عبدالله حمدوك للتعاطي مع الأزمات اليومية، وهي متشابكة وعصية على الحل في مجملها، كي يصبح الجسم المدني رأس الحربة التي تتلقى الضربات وتمتص المشكلات، وبالتالي تتحمل مسؤوليتها وليس الجسم العسكري.

ركز البرهان على التدخل في القضايا القومية التي تظهر تماسك الجيش وتأثيره الكبير، كمؤسسة تمثل صمام الأمان للحفاظ على وحدة دولة تعاني من تفكك في الهامش والأطراف،

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

سلطت أزمة الحدود مع إثيوبيا الضوء على دور المؤسسة العسكرية في السودان، حيث وجد فيها قادة الجيش فرصة لاستعادة بريقتهم في الفضاء العام، من خلال استعادة السيطرة على الأراضي التي وضعت قوات إثيوبية يديها عليها منذ عقود مضت، ولم يبلغ نظام الرئيس السابق عمر البشير في استردادها بالقوة أو اللين.

بحث المكون العسكري في مجلس السيادة السوداني عن أدوات تمكنه من تمتين حضوره في المشهد السياسي، ولاحظ أن غالبية الأبواب الداخلية موصدة أمامه، فقد سئم السودانيون تحكم الجيش في مفاتيح السلطة، لأن النتائج التي أفضت إليها فترة حكم البشير كانت سلبية بما يكفي لعدم تكرارها.

لم يسفح انحياز قادة الجيش إلى الثورة في إقناع المواطنين بتدوير الحكم لصالح جنرال جديد، لكنهم يتقنوا في السودان والمنطقة، وقبلوا بالمشاركة في ترتيبات سياسية تقود إلى حصر دور الجيش في مهامه التقليدية، دون أن يخلو الأمر على مدار عام ونصف من مناقشات متواصلة مع المكون المدني.

أصبحت الحيوية لدى غالبية القوى السودانية أحد عناصر تفوق الجيش، وليس العكس، حيث أدى النشاط الكبير والطموح الزائد إلى ظهور تناقضات، أكدت أن الجسم المدني يعاني من شروخ عديدة سوف تؤثر على فرص نجاحه في قيادة السلطة لاحقا.

استثمر الجيش إخفاقات القوى السياسية في الائتلاف حول أجدنة موحدة، واستفاد من الترشقات التي نشبت بين قادته، وبدأ يتسلل إلى عمق الحياة العامة، ويخترق في متابعة

